



خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل

60. أسباب حفظ الكرامة

13 ذو القعدة 1380هـ الموافق 28 أفريل 1961م

الحمد لله الّذي عليه نعتمد، وفي طلب العون منه نستمدّ، هو المدبّر لأحوال عباده، والمتصرّف في جميع أحكامه، وأشهد أن لا إله إلّا الله، رؤوف بالمؤمنين، وشديد البأس على الظّالمين، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي بشّر وأنذر، ونهى عن التّمادي في الطّغيان وحذّر، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين اطمأنّوا بدينهم، وأخلصوا في العمل لربّهم.

أمّا بعد: فإنّ الإيمان الصّادق، والنّيّة الخالصة، والتّضحية المتفانية في سبيل المبدأ الدّينيّ، وفي سبيل النّفع العامّ؛ لرفع مستوى الشّعب والأمّة، هي أسباب لحفظ كرامة الفرد والمجتمع بصفة عامّة، وأنّ هذه الصّفات الجليلة الّتي تحكّمت في القلوب، واستولت على توجيهها نحو هذه الطّرق الحيويّة، لَمِمّا يدلّ على استقامة شؤونكم وأحوالكم، وأنّ المستقبل سيكون في خدمة صالحكم، وتحقيق رغائبكم؛ لأن هذه الظّروف الحاليّة أقامت لكم برهانًا قاطعًا، وحجّة صادقة، على أنّ الفيض الإلهيّ بدأ يعمّكم برحمته وإحسانه، وأنّ أسباب الشّرّ والخذلان بدأت تسير نحو الفناء والاضمحلال؛ لأنّ ذلك النّور السّاطع هو الّذي بدّد هذه الغيوم المظلمة، وقطع أوصال الفتنة، وأزال أنواع البؤس والشّقاء.

وأنّ التّجلّد في مواقف الشّرف، والصّمود أمام العقبات، هما من الشّعور الكامل بمسؤوليّة الدّين، والمسؤوليّات العامّة.

وأنّ النّهوض الفكريّ والعمليّ بمثل هذه الأعباء نجده شاقًّا إلّا على مَن قويت عزائمهم، وحسنت نواياهم، وتمّ صدقهم وإخلاصهم؛ ولذلك نراهم يقتفون آيات القرآن الكريم وتوجيهاته؛ ليبعثوا الحياة في ضمائرهم، والقوّة في عزائمهم، بعدما حلّت بهم الأحزان والآلام، كما قال الله -جلّ شأنه-: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139].

كما أنّهم يعتبرون بالحوادث، ويستخلصون منها العبر لأنفسهم؛ حتّى لا يصيبهم الملل، ولا تفتّ في أعضادهم طول الكوارث ووعورة المسالك، وامتداد حبل اللّيالي والأيّام، وإنّما ذلك كلّه يرونه حكمة إلهيّة، كما قال -جلّ شأنه-: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [آل عمران: 178].

وكلّ من تجاوز حدود الله، وسعى بكلّ أنواع المكر إلّا سيحيق به مكره، كما قال -جلّ شأنه-: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: 43]، وكما قال عزّ من قائل: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52)} [النمل: 50 - 52]